Journal Of the Iraqia University (74-8) December(2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

معالم نشأة الفكر المقاصدي عندالشيخ محمد الخال

إسماعيل علي حمد
طالب دكتوراه في قسم التربية الدينية ، جامعة كوية
أ.د. هيمن عزيز برايم
Ismail Hamad Ali
Koya University , Faculty of education
Prof. Dr. Hemin Aziz
Hemin.azez@koyauniversity.org
Department of Religious education, Faculty of education, Koya University, Koya 44023, Kurdistan Region – F.R. Iraq

الملخص:

يبين البحث أن الشيخ محمد الخال نشأ في أجواء مضطربة سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا في كردستان والعراق خلال القرن العشرين، ورغم ذلك استطاع تكوين شخصية علمية وروحية متوازنة بفضل تربيته العلمية والأخلاقية. وقد برز كأحد أعلام الفكر الإصلاحي والمقاصدي، إذ مثّل العالم العامل الذي جمع بين التدريس والتأليف والقضاء والدعوة والإصلاح الاجتماعي، فكان منارة لهداية مجتمعه ونشر الوعي.تمحور مشروعه الفكري حول إحياء علم مقاصد الشريعة وإبراز دوره في تحقيق المصالح ودرء المفاسد، مؤكدًا أن المقاصد هي روح التشريع وأساس النهضة، وداعيًا إلى قراءة النصوص الشرعية قراءة عميقة تراعي علل الأحكام ومصالح الناس. لذلك كان من دعاة التجديد والإصلاح ورافضًا للجمود والتقليد الأعمى مع تمسكه بالثوابت.كما اهتم بالجانب الاجتماعي من خلال نشر قيم التكافل والتعاون، ورعاية الأيتام والمحتاجين، داعيًا إلى تأسيس مؤسسات خيرية، ومعتبرًا أن الأخذ بالوسائل المادية والعلمية والتعليمية ضرورة شرعية لنهضة الأمة.ويخلص البحث إلى أن الشيخ محمد الخال شكل حلقة مهمة في مسار الفكر الإصلاحي والمقاصدي في كردستان والعالم الإسلامي، إذ جمع بين الأصالة والمعاصرة، والعقل والنقل، وسعى لجعل الدين قوة دافعة للتقدم. ويوصي البحث بضرورة توثيق تراثه الفكري ودراسته أكاديميًا وربطه بقضايا المجتمع السياسية والاقتصادية والتعليمية.

almulakhas

yubayan albahth 'ana alshaykh muhamad alkhal nasha fi aidtirariha easkariana waijtimaeiana waiqtisadiana fi alqarn alkurdistanii waleiraq khilal shahr yanayir, 'iilaa 'anah qawiun shakhsiat eilmiat waruhiat mutawazinat bima fih alkifayat tarbiatuh aleilmiat wal'akhlaqiatu. waqad baraz ka'ahad 'aelam alfikr althawrii walmaqasidi, bisifatih mumathil alealam aleamil aladhi jamae bayn altadris waltaalif walqada' waldaewat wal'iislah alshuyueii, famanaratan lihidayat mujtamaeih wanashr alwaei.mihwar mashrueih alfikrii hawl yaqazat eilm maqasid alsharieat wa'iibraz dawrih fi tahqiq almasalih wadar' almafasidi, mwkdan 'ana almaqasid hi ruh qanuniun wa'asas alnahdati, wdaean 'iilaa qira'at alnusus alshareiat qira'atan muathiratan raei eilal alqada' wamasalih alnaasi. lidhalik kan min dueaat alqadi wal'iislah rafdaan liljumud waltaqlid al'aemaa mae tamasukih bialthawabiti.kama aihtama bialjanib alaijtimaeii min khilal nashr qiam takaful almushtaraki, warieayat aytam walmuhtajina, bishakl eamin litawasul 'iilaa natijat khayriatin, wmetbran 'ana al'akhdh bialwasayil aldaarat waleilmiat waghayr shareiat linahdat al'umati.wayukhlis albahth 'iilaa 'ana alshaykh muhamad alkhal yushakil muhimatan fi masar alfikr al'iislahii walmaqasidii fi kurdistan walealam al'iislami, hayth yajmae bayn al'asalat walmueasarat waleaql walnaqlu, wayaseaa litahqiq quat aldiyn alnaashitat liltaqadumi. wayusi bialbahth ean turathih alfikrii wadirasatih 'akadimian warabtah biqadaya almujtamae aleami waltaweiat aleamati

المقدمة:

الحمد لله الذي نور أذهان العلماء بنور الإسلام وأضاء قلوبهم بنور الإيمان، وفتحصدورهم لإدراك الأصول وفهم الأحكام، وجعلهم ورثة الأنبياء، وقدوة الأولياء، فهم قادة للخير وسادة للأمة الإسلامية أينما حلوا وكانوا، فهم سفراء السلم والسلام وملاذ الأمن والإيمان ومفتاح السعادة والوئام.

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين والأسوة الحسنة للعارفين والسالكين الذي حثنا على التفكر والتعلم والتأمل، فصرف جميع عمره في سبيل نشر الدين والعلم وعلى آله الأخيار وزوجاته الأطهار وصحابته الأبرار إلى يوم الدين.أما بعد:على أرض كردستان، وُلد رجال من العلماء يشبهون النجوم في علوهم ونورهم، أضاءوا ظلمات الفكر والعقيدة، وفتحوا للناس أبواب الهداية والمعرفة، كانوا روّادًا بين قومهم، ونِعم الجار والصديق والمؤتمن، أينما حلّوا جلبوا الخير، وانتفع الناس بعلمهم وأدبهم.حفظوا ميراث الأنبياء، وساروا على نهج العلماء والصالحين الذين سبقوهم، فلم يبخلوا بعلم أو نصح، ولم يترددوا في خدمة الإسلام والمسلمين، سواءً في الكتابة، أو التعليم، أو القضاء، أو الإصلاح.جعلوا من وقتهم وأرواحهم وأموالهم ونفسهم ونفيسهم وقفًا لهذا الدين، يعملون ليلًا ونهارًا لتحقيق مقاصد الشريعة؛ جلبًا للمنافع، ودفعًا للضرر، وبذلًا للخير حيث أمكن، عاشوا حياتهم في سبيل الله، رجالًا صدقوا ما عاهدوا الله عليه.وهذا العالم المقاصدي والفكري والمجدد الذي نحن بصدد الحديث عنه العلّامة الشيخ محمد الخال (١٩٠٤–١٩٨٩م)، الذي من أبرز رواد حركة التنوير والإصلاح في عصره و بيئته، حيث سبق عصره وزمانه بفكره ومشروعه الإصلاحي، فقد جمع بين التدريس والتأليف في مجالات التفسير، والأدب، والدراسات المجتمعية، وعلم المقاصد، وكان حريصًا على معالجة مختلف جوانب الحياة الدينية والدنيوية لمجتمعه الكوردي.وفي هذا السياق، سخَّر الشيخ الخال جهده ووقته دون تردد أو تقاعس، فكرَّس عمره لحمل رسالة الإصلاح الشامل، وترك بعد رحيله أثرًا خالدًا وأيقونةً من رموز التغيير والقدوة في منطقته.فكان واجباً علينا دراسة آثاره العلميّة وجهوده المقاصدية والإصلاحيّة وفاءً لما قدّمه للأمةّ الإسلامّة جميعاً والكـورديّة خصوصاً تأليفاً و وتدريساً وتبليغاً وقضاءً.أسباب إختيار العنوان:الأسباب التي دفعت الباحث لاختيار هذا الموضوع لرسالته للدكتوراه كانت ما يلي:

١– إبراز وتقديم دور أحد علماء الكورد في خدمة الشريعة الإسلامية في شتى العلوم عمومًا، وبشكل خاص في مجال مقاصد الشريعة، والإصلاح، والفكر الإسلامي.

٢– لا شك أن الشيخ محمد الخال قد أفنى عمره في خدمة الدين وحياة المجتمع من خلال التأليف، والخطابة، والقضاء، وقد ترك وراءه العديد من المؤلفات والكتابات القيّمة، وقد استفدت أنا كذلك شخصيًا كثيرًا من أفكاره، خاصة في مجال التجديد، والمقاصد، والإصلاح.

٣– لا شك أن شخصية الشيخ محمد الخال كانت بارزة ومتميزة بين العلماء سواء داخل كردستان أو خارجها، وكان إلى جانب ذلك منتمياً إلى أسرة صوفية، إلا أنه كان يمتاز بالشجاعة الفكرية والجرأة في مجال التجديد، وبتقديم صورة متوازنة تجمع بين العقل والنقل، والعلم والدين. كما كان صاحب فكر مقاصدي، وله مؤلفات في هذا المجال، ولأجل ذلك كان متقدماً على عصره.

٤– ولأن هذه أول دراسة وبحث مستقل يُكتب حول الجانب الفكر المقاصدي للشيخ محمد الخال، إذ لم أجد أحدًا من الباحثين قد تناول حياته وجهوده في المقاصد، وكانت هذه الجهود والإنجازات في أمسّ الحاجة إلى من يدرسها ويقدمها للأجيال الجديدة والقادمة بصورة أكاديمية.

أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث فيما يلي:

١– إن هذا البحث يُبرز كيف أنه رغم جميع المحن والصعوبات السياسية والأمنية والاقتصادية، لم يتخلَّ العلماء الكورد يومًا عن دورهم في التوجيه وخدمة الدين وحياة مجتمعهم، وبذلوا ما استطاعوا من جهود في الكتابة والمحاضرة والتدريس لخدمة الناس.

٢– يكشف هذا البحث عن دور وجهود ومثابرة الشيخ محمد الخال العلمية من خلال كتبه ومؤلفاته ومساعيه الإصلاحية والفكرية والتجديدية، ويعرض صورة حقيقية وواقعية لعالم من علماء كردستان الذين خدموا الإسلام والمسلمين من خلال التأليف و التفسير والمقالات الفكرية والمحاضرات والخطب والقضاء.

٣– يُظهر البحث أهمية علم المقاصد والتجديد، إذ لا يمكن لأي شعب أو أمة أن تنهض دون أن تبدأ بالفكر، فتفهم مقاصد وغايات النصوص الدينية بعقل وعلم وواقعية، وتقدم صورة راقية ومستنيرة عن التدين.

الدراسات السابقة:

تلك الدراسات التي كُتبت عن مقاصد الشريعة أكثر من أن نتمكن من إحصائها، لكن ما له صلة بالشيخ محمد الخال لم نعثر عليه من حيث الفكر المقاصدي، إذ إن معظم تلك الدراسات التي أُنجزت وكُتبت تدور أكثر حول تفسيره، وربما وُجدت مقالات قصيرة ذات لمحة مقاصدية، لكنها لا ترقى إلى مستوى دراسة أكاديمية محكمة وشاملة.وأهم تلك الدراسات الأكاديمية التي كُتبت عن الشيخ محمد الخال هي ما يلي:

١- فصل المقال في تفسير الخال، بحث تخرج الطالب في مرحلة بكالوريوس، تقدّم بها عدنان عبد القادر كامل، إلى كلية الشريعة / في جامعة دهوك، ٢٠٠١م.

٢- الشيخ محمد الخال مفسراً، رسالة ماجستير، تقدّم بها عمر علي محمد، إلى مجلس كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة صلاح الدين في أربيل،١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

٣-الشيخ محمد الخال وجهوده الفكرية والدعوية، رسالة ماجستير، تقدّم بها نصرالدين توفيق نادر، في قسم الدعوة والفكر نينوى / إلى مجلس الكلية/ جامعة الإمام الأعظم، ١٤٣٦هـ ٢٠١٤م. لا الفصل الأول: تناول أسباب تكوين الفكر المقاصدي لدى الشيخ محمد الخال، مع بيان أثر مدرسة الإصلاح عليه، ودور علم المقاصد في منهجيته التفسيرية للقرآن الكريم.

المبحث الأول: أسباب تكوين الفكر المقاصدي عند الشيخ محمد الخال.

إن نبوغ الشيخ محمد الخال وتميزه في العلم والإصلاح، خصوصاً من حيث منهجيته المقاصدية، يرجع إلى مجموعة من العوامل المتعددة، منها الاستعدادات البيئية والفطرية والسياسية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. هذه العوامل أسهمت في تشكيل أفكاره ومواقفه، إذ أن سمات الشخص تعكس بيئته وزمانه. لذا، فإن دراسة العصر الذي عاش فيه الشيخ محمد الخال تُعد أمراً ضرورياً لفهم شخصيته واهتماماته.وينقسم تأثير هذه العوامل إلى قسمين رئيسيين:المطلب الأول: العوامل الخارجية المطلب الثاني: العوامل الداخلية

المطلب الأول : العوامل الخارجية المؤثرة في تكوين شخصية الشيخ محمد الخال المقاصديّة :

أوّلاً: العامل السياسي:تأثرت شخصية الشيخ محمد الخال المقاصدية والفكرية والدعوية ولإصلاحية بالأحداث الكبرى التي عصفت بالمناطق الكردية، ومرت بعدة مراحل تاريخية:مرحلة الدولة العثمانية: قبل العهد الدستوري (١٩٠٤م – ١٩٠٨م): وهي فترة ولادته.العهد الدستوري (١٩٠٨م – ١٩٢١م): شهدت تطورات سياسية أثرت على وعيه الفكري. مرحلة الحكومة العراقية: العهد الملكي (١٩٢١م – ١٩٥٨م)العهد الجمهوري (١٩٥٨م – ١٩٨٩م، سنة وفاته)خلالهذه الفترات، عايش الشيخ الظلم والاضطهاد، وشهد نشوء الجمعيات الوطنية والأحزاب السياسية، وازدهار الصحافة. وقد انعكست هذه الأحداث في كتاباته، وخاصة تفسيره، حيث ناقش فيها أوضاع الأمة الكردية والعالم الإسلامي[١]ثانياً: العامل الثقافي:رغم الأوضاع السياسية الصعبة وعدم الاستقرار في كردستان، استمرت الحركة العلمية والثقافية وازدهرت، مما أسهم في تشكيل شخصية الشيخ محمد الخال. فقد ساعدته هذه الحركة على تنمية وعيه وفكره المقاصدي، فبرز كعالم مؤثر قدم خدمات كبيرة لدينه ووطنه، وساهم في رفع المستوى العلمي والثقافي لشعبه من خلال مؤلفاته ومواقفه.كما يقول الشيخ محمد الخال عن هذه البيئة و الحركة العلمية والثقافية: ((إنّ مدينة السليمانية كانت منذ بنائها مدينة علمٍ وينبوع أدبٍ، ومنبت فحولٍ،مجمع أفاضلٍ، ومهداً من مهود الثقافة الإسلاميّة... وكان أمراء بابان وحكامه يحبون العلم والأدب، ويغذون الحركة الثقافية، ويوسّعون دائرة المعارف..))[٢]ويقول أيضاً:((فيها المدارس العظيمة، والمكتبات الجسيمة، وفيها تخرج العلماء والفضلاء والشعراء، كالبيتوشي،ومولانا الخالد النقشبندي، والمفتي الزهاوي..))[٣]ويقول عن كردستان عموماً: ((فقد في كردستان من المساجد والجوامع والمدارس ما يفوق الحصر والعد، بحيثُ لاترى قرية مهما كانت صغيرة الّا فيها مسجد أو جامع مع مدرسة عامرة بطلاب العلوم الدينية الذين وقفوا حياتهم على تحصيل العلوم الإسلامية وآدابها بإخلاص وعزمٍ ديني صادق، فدرّس فيها العلوم الإسلامية على أتقن وأجود على ما يرام، ولقد نبغ فيها علماء حازوا قصب السبق في ميدان الجهاد العلمي، وكانت من ناحية الثقافة الإسلامية مستواها العلمي معادل لمستوى المدن ذات الحضارة، وكانت هذه المدارس في جميع أنحاء كردستان، مرتبط بعضها ببعض، ومتصلة الحلقات بتجوال الطلاب الدائم من مدرسة الى أخرى...))[٤]وشيخنا محمد الخال وأمثاله بعضٌ من ثمرات لهذه الحركة العلمية والثقافية المباركة،لأنّه كان ذا أفكار مقاصدية وتجديدية وإصلاحية، وهذه الحقيقة مجسّدة بوضوح من خلال تأليفاته ومقالاته المنشورة في مجلّات وجرائد عصره ومشاركاته وإسهاماته الكثيرة في مجال الثقافة الإسلامية الشاملة لكافة الجوانب: الإجتماعية، والإقتصادية، والعلاقاتية، والخطاب الدينية، والأدبية واللغوية، والتأريخية، والسياسية، والعلوم الكونية والطبيعية.ثالثاً: العامل الإقتصادي:مرت حياة الشيخ محمد الخال في ظل أوضاع اقتصادية صعبة تأثرت بالحروب والنزاعات السياسية التي شهدها العراق وكوردستان، خصوصًا خلال الحروب العثمانية والعالميتين الأولى والثانية، ما أدى إلى تدهور اقتصادي شديد وفقر واسع، انعكس سلبًا على الوضع الاجتماعي والعلمي، حيث كانت المدارس تعاني من ضعف الإمكانيات. نشأ الشيخ محمد الخال في بيئة قبلية فقيرة ومضطربة اقتصاديًا، مما شكّل تحديًا كبيرًا له في مسيرته العلمية. ورغم هذه الظروف الصعبة، لم يتخلَّ عن طلب العلم، بل واصل دراسته وتدريسه، مما يدل على عزيمته وإصراره. شهدت الفترة بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ التي أدّت إلى إسقاط الحكم الملكي و أقامت الحكم الجمهوري تحسنًا نسبيًا في الوضع الاقتصادي بفضل الإصلاح الزراعي، وإن لم يصل إلى الطموح الشعبي، وقد استمرت تلك الأوضاع حتى نهاية الثمانينات،

مما كان له بعض الأثر الإيجابي على الاستقرار النسبي في المسيرة التعليمية لاحقًا[٥].لكن مع ما مرّ به الشيخ محمد الخال من ظروف سيّئة شملت جميع النواحي السياسية والإقتصادية والإجتماعية وغيرها، الّا أنّ نجمه قد سطع وبرز كعالم متقن ومتفنن وشخصية دينية و مقاصدية و مؤثّرة، وكان له الأثر المتميز في خدمة دينه و وطنه ودفع المظالم عن بني جلدته والمشاركة في رفع مستواهم العلمي والثقافي بخدماته الجليلة وآثاره المتنوعة ومواقفه البناءة.

المطلب الثاني : العوامل الداخلية المؤثرة في تكوين شخصيّة الشيخ محمد الخال المقاصديّة :

العناصر المكوّنة الداخليّة لشخصية الشيخ محمد الخال المقاصديّة والثقافية والفكرية مايلي:

١-الفطرة السليمة والإيمان الراسخ: امتاز بذكاء فطري حاد وإيمان قوي بالله، مما هيّأه لاكتساب العلوم والمعارف بثقة بالنفس واعتزاز بالكرامة الإنسانية[٦].

٢-البيئة الأسرية والعلمية: نشأ في بيت علمي عريق، وكان مجلس جده الشيخ أمين الخال ملتقى للعلماء والمثقفين، مما أثر بعمق في تكوينه العلمي والثقافي[٧].ولقد تفاوتت أسباب عديدة على منح شيخنا الخال-رحمه الله تعالى- شخصيته المقاصديّة ومكانته السامية وفي مقدّمتها بعد وفاة أبيه -مجلس جدّه- المشهور ب((ديوان الحاج أمين الخال).لأنّه من من المجالس العلميّة التي يشار إليها بالبنان في السليمانيّة،ولقد فتح الشيخ محمد الخال عينيه في جوّ علميّ يحضره العلماء،وعُشّاق الأدب، الذين يتقارضون الشعر، ويتذاكرون الأدب،كما وأنّه يستمع في مجلس جدّه مراراً نوادر الأدب واللغة والتصوّف.إشتهرت كردستان بالأسر العلمية العريقة،التي قدّمت الكثير من الخدمات الجليلة في ميادين شتّى نصرةً للدين الإسلامي الحنيف الذي اعتنقه أبناؤها منذ بزوغ فجره المبارك،وقد ترعرعت في رحابه بيوت العلم ونمت وازدهرت ملكات الرجال،من بينها (أُسرة الخال)، هي من بين تلك الأُسر الشهيرة، التي كانت لها مدارس ومكتبات عامرة منذ أوائل القرن العاشر للهجرة،بدءاً بمدرسة-چۆر -[٨]))[٩].

٣-التحصيل العلمي عند العلماء الكبار: درس على يد نخبة من علماء كردستان، ما عمّق معارفه وزاد من ثقافته الدينية والثقافيّة والمقاصديّة والفكرية[١٠].

٤-المكتبة الضخمة: امتلك مكتبة نادرة تحتوي على ما يقارب ١٠,٠٠٠ كتاب ومخطوطة في مختلف العلوم، كانت إرثاً عن أجداده ومصدرًا غنياً للمعرفة[١١].كان الشيخ محمد الخال – رحمه الله تعالى- مشهوراً منذ نعومة أظفاره بمواصلته المسيرة العلمية، وتتبع الآراء، وإرتياده المكتبات، وكان يجول ويصول في ميادين الفقه والأدب والفكر وكان من أنفس المكتبة الموجودة أمام يديه آنذاك و هي مكتبة جده الأعلى السلامة أبي بكر المصنف، فبذلك يملك مكتبة يندر وجودها، ليس في منطقة السليمانية فحسب، بل كانت تعتبر من المكتبات المشهورة على مستوى العراق، لما فيها من الكتب القيمة والمخطوطات النادرة، فكانت خزانة عامرة تبلغ قرابة(٦٤١)مخطوطة نادرة، بين صغير وكبير، ونشر فهرساً لها في مجلة (المجمع العلمي الكردي) وقال في مقدمة المقالة ما نصها: ((إن هذه المكتبة من بقايا مكتبة أجدادي المتحدرة من العالم العلامة السيد ابي بكر المصنف، مؤلف كتاب الوضوح شرح المحرر للإمام الرافعي في الفقه الشافعي، وإنها كانت مكدسة في الصناديق والقماطر دون تنظيم أو ترتيب أو ترقيم، إلى أن طلبت مني رئاسة المجمع الكردي، تقديم قائمة مفصلة بأسماء مخطوطات المكتبة[١٢])) ومن الجدير بالذكر أن هذه المكتبة حوت كتبا قيمة باللغات العربية والكردية والفارسية والتركية، فوضع لها فهرساً مفصلا بين فيه أسماء المخطوطات وعناوينها، وتاريخ كتابتها، كما وأن الحد الأدنى الساعات مطالعات يومياً عشر ساعات رسل فلهذا ترى أن تفسيره متعدد الجوانب، شاملا لشتى موضوعات المعرفة الثقافية التي يشير اليها نصوص القرآن الكريم.

٥-الاهتمام بالصحافة والمجلات:كان متابعاً نشطاً للإصدارات الحديثة ونشر مقالات أبرزها "فائدة المجلات والجرائد"، مما عمّق وعيه المعاصر[١٣].

كان الشيخ محمد الخال رحمه الله تعالى كثير الإهتمام بالمقالات المنشورة في (جريدة العروة الوثقى[١٤])ويقول في شأن هذه الجريدة: استفدت من مطالعتها إستفادة يعجز القلم عن الإحاطة بها، بل إستفدت بصراً في الدنيا وتحولا من حال إلى حال، ورغبة صادقة في العمل للإسلام والمسلمين، وشوقا للإصلاح الديني والخلقي والإجتماعي، وميلا إلى إجادة قلمي خاصة في الادب الكردي، لكي أتصل بالأمة من طريق الكتابة في الجرائد والمجلات وإلقاء المحاضرات، تلك المجلة التي أيقظتني وأزاحت الغفلة عني، كما أزاحتها عن الآف مثلي...))[١٥]

٦-التأثر بحركات الإصلاح والفكر الحديث: تأثر بأفكار جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، سعيد النورسي، سيد قطب، وغيرهم، ما وسّع أفقه الفكري وربطه بروح التجديد[١٦].

٧-الخبرة القضائية: عمل قاضيًا لمدة ٢٨ سنة، مما زوّده بخبرة حياتية وعلمية عميقة[١٧].

٨-كثرة المطالعة: اعتاد القراءة يومياً قرابة عشر ساعات، مما جعله موسوعة معرفية متحركة[١٨].

٩-الظروف الاجتماعية والسياسية الملائمة: ساعدته بيئته الاجتماعية وظروفه الاقتصادية المستقرة في التفرغ للعلم والفكر[١٩].

١٠-تأثره بالطرق الصوفية والمدارس الفكرية: تأثر بالطريقة النقشبندية في الجانب الروحي، ومدرسة ابن القره داغي في العلوم، ومدرسة الحاج قادر الكويي في الأدب والوعي القومي. جميع هذه العناصر تضافرت لتكوين شخصية الشيخ محمد الخال الموسوعية والعميقة في ميادين العلم والفكر والمقاصد والثقافة[٢٠].

المبحث الثاني: مدرسة الإصلاح وتأثيرها في الفكر المقاصدي لدى الشيخ محمد الخال.

الإسلام يتميز بخصائص عظيمة، أبرزها التجديد والإصلاح، مما يجعله دينًا حيًا ومرنًا يخاطب العقول والقلوب في كل زمان. لا يقف الإسلام عند حدود الجمود، بل يدفع أتباعه ليكونوا عناصر فاعلة ومؤثرة في مجتمعاتهم من خلال فهم عميق وواقعي للدين. وقد برز المصلحون في التاريخ الإسلامي كنجوم مضيئة، لم يقتصر دورهم على التنظير، بل كان لهم أثر عملي في مختلف مجالات الحياة، فجمعوا بين الإيمان والعقل، والعمل والفكر، والتوازن بين الأصالة والمعاصرة.وسيتناول هذا المبحث الموضوع من خلال مطلبين:المطلب الأول: تأثير المدرسة الإصلاحية في تكوين الفكر المقاصدي عند الشيخ محمد الخال.المطلب الثاني: إنعكاس تأثير مدرسة الإصلاح على الشيخ محمد الخال، وخصائص مدرسة الإصلاح الإسلامي .

المطلب الأول: تأثير المدرسة الإصلاحية في تكوين الفكر المقاصدي عند الشيخ محمد الخال.

كان الشيخ محمد الخال شخصية بارزة ومؤثرة في العالمين الكردي والإسلامي، وتميز بعلاقاته الواسعة والعميقة مع كبار العلماء والمفكرين والأدباء من داخل العراق وخارجه، حيث تبادل معهم الرسائل والزيارات والأفكار، وكانت مجالسه في المسجد مركزًا لتلك اللقاءات العلمية والثقافية.وكان الشيخ محمد الخال حريصًا على التفاعل الفكري والثقافي مع النخبة في العالم الإسلامي، مما جعله محورًا للتواصل بين التيارات العلمية والدينية والثقافية في عصره.أبرز صلاته: مع العلماء والمفكرين: كالشيخ محمود الحفيد، الشيخ عبد الكريم المدرس[٢١]، القاضي أحمد مختار[٢٢]، الشيخ نوري بابا علي[٢٣]، الدكتور مصطفى الزلمي[٢٤]، والشيخ عثمان عبد العزيز[٢٥]. مع الأدباء والشعراء: پيره ميرد[٢٦]، شاكر فتاح[٢٧]، عبد الرحمن بك بابان[٢٨]، قانع[٢٩]، فائق بيكس[٣٠]، وغيرهم، وكان له معهم روابط وجدانية وشعرية متينة.مع الشخصيات السياسية والاجتماعية: فؤاد معصوم[٣١]، كمال فؤاد[٣٢]، عز الدين مصطفى رسول[٣٣]، فائق هوشيار[٣٤]، توفيق قزاز[٣٥]، وغيرهم من أشراف السليمانية.مع الأكراد من خارج العراق: مثل عبد الرحمن قاسملو من إيران[٣٦]، ومحمد علي عوني من مصر[٣٧].مع العرب والمصريين خصوصاً: من أبرزهم العقاد[٣٨]، أحمد أمين[٣٩]، نجيب محفوظ[٤٠]، توفيق الحكيم[٤١]، محمود شلتوت[٤٢]، وغيرهم، وأهداهم كتاباته خصوصاً عبر طلاب الأزهر الأكراد.الزيارات والمناسبات: التقى شخصياً بعدة شخصيات بارزة مثل الشيخ حسن مأمون[٤٣] (شيخ الأزهر) لمناقشة قضايا تتعلق برسم المصحف والإملاء.

المطلب الثاني: إنعكاس تأثير مدرسة الإصلاح على الشيخ محمد الخال، وخصائص مدرسة الإصلاح الإسلامي .

أوّلاً: إنعكاس تأثير مدرسة الإصلاح على الشيخ محمد الخال:اهتم الشيخ محمد الخال منذ بداياته الفكرية بالمدرسة الإصلاحية الإسلامية، متأثراً بشكل كبير بفكر جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده ومحمد رشيد رضا، مما ساهم في تشكيل رؤيته الثقافية والدينية.لقد وجد في مؤلفاتهم – وخاصة العروة الوثقى مصدر إلهام عميق غيّر من نظرته إلى العالم والعلم والدين[٤٤]وكان تأثير هذه المدرسة واضحاً في توجه الخال نحو الثقافة والكتابة والتفسير، في وقت كانت فيه المؤسسات الدينية في كردستان مغلقة على نفسها ومعزولة عن التغيرات الفكرية والثقافية. وبفعل هذا التأثير، دخل الخال عالم الأدب وبدأ بكتابة تفاسير للقرآن مستلهماً أسلوب محمد عبده ومدرسته في التجديد والتفسير العقلاني للنصوص الدينية. أشار الخال في مقابلاته إلى أن قراءته للأفغاني وعبده كانت السبب الرئيسي في انتقاله إلى مجال الثقافة والكتابة[٤٥]وقد كتب أول تفسير له وهو في سن النضج، متبعاً منهج محمد عبده في تفسير القرآن الكريم، مع إشارة مستمرة إلى أعلام المدرسة الإصلاحية مثل سيد قطب وغيرهم.يُعد الخال من أبرز رواد التجديد الديني والثقافي في كردستان، حيث حاول ملء الفراغ الثقافي والفكري الذي عانت منه المنطقة نتيجة الجهل والانغلاق في تلك الحقبة[٤٦] ثانيّاً: خصائص مدرسة الإصلاح الإسلامي:

١-رفض الجمود والتقليد: عارضت هذه المدرسة التقاليد الدينية الجامدة التي أغلقت باب الاجتهاد والتجديد، وسعت إلى تفسير جديد للإسلام يتماشى مع روح العصر[٤٧].

٢- الإصلاح الاجتماعي والأدبي: اهتمت بالقضايا الاجتماعية والأدب، وسعت لتحرير المجتمع من الثقافة القديمة المتخلفة[٤٨].

٣-عدم التقيد بمذهب فقهي محدد: لم يلتزم علماء المدرسة بفقه معين، وكانوا منفتحين فكريًا، مما ساعد على توحيد المسلمين رغم اختلافاتهم[٤٩].

٤-مهاجمة الخرافات والانحرافات: ركزت على تنقية الدين من الأحاديث الضعيفة والخرافات والانحرافات الفكرية عن نصوص القرآن والسنة الصحيحة[٥٠].

٥-العقلانية وحرية التفكير: دعت إلى تحرير العقل من التقليد الأعمى، وأكدت على أهمية استخدام العقل في فهم الدين[٥١].

٦-الربط بين الإسلام والعلم: سعت لإثبات أن الإسلام لا يعارض العلم، بل يشجعه ويكمله[٥٢].

٧-الاهتمام بالقضايا المعاصرة: تناولت قضايا سياسية، اجتماعية، علمية، ومشكلات المرأة والشباب، وسعت لإيجاد حلول عصرية لها[٥٣].

ثالثاً: ضوابط التجديد والإصلاح في الشريعة الإسلامية يتضمن ستة ضوابط رئيسية، وهي[٥٤]:

١-الاعتماد على النصوص الموثقة: يشترط الاستناد إلى الآيات المحكمة في القرآن الكريم وربطها بالمتشابهات، والأحاديث الصحيحة. لا تعارض بين النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة لأنها جميعًا من عند الله، بل يجب السعي للجمع بينها ونفي التعارض[٥٥].

٢-. اتباع مناهج علمية في فهم النصوص: فهم النصوص يتم بلغة العرب التي نزل بها الوحي، ويُشترط معرفة لغة العرب وأساليبهم ومقاصدهم في الخطاب. يجب الاعتماد على تفسير السلف، وعلى اللغة والشعر العربي لفهم المعاني الغريبة[٥٦].

٣-مراعاة فهم السلف الصالح: لا يُكتفى بنقل معاني السلف، لكن تُعتبر أساسًا لفهم جديد متسق معها، ولا يجوز مخالفتها. للصحابة مكانة خاصة لفهمهم الواقع وسياقات النزول، وبالتالي يُرجع إليهم في تقييد وتخصيص النصوص[٥٧].

٤-فهم النصوص كوحدة متكاملة: لا يُفهم الدليل بمعزل عن غيره، بل تُجمع النصوص ويُنظر في دلالاتها مجتمعة. إن وُجد تعارض ظاهري، يُلجأ للجمع أو الترجيح أو النسخ وفق الضوابط الشرعية[٥٨].

٥-تقديم بيان النبي على غيره: النبي صلى الله عليه وسلم هو المفسر الأول للقرآن بوحي الله. السنة مفسرة للقرآن، مخصصة لعوامه، مبيّنة لمجملاته، وهي وحي يُعتمد عليه كاعتمادنا على القرآن[٥٩].

٦-الاجتهاد المبني على النصوص مع مراعاة الواقع: الاجتهاد لا يكون إلا بالدليل الشرعي من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس. يُشترط عدم معارضة النصوص أو مقاصد الشريعة. هناك فرق بين الثوابت التي لا تتغير، والمتغيرات التي تتبدل حسب الزمان والمكان والعرف والمصلحة[٦٠].

فهرس المصادر والمراجع:

١. لشيخ محمد الخال مفسّراً: ص٤ – ٥. و: فصل المقال في تفسير الخال: ص٧–٨. و: الشيخ محمد الخال و جهوده الفكرية والدعوية.

٢. الشيخ معروف النودهي البرزنجي، الشيخ محمد الخال، ط١، مطبعة خاڵ و رێنوێن ،٢٠٢١ز .يقظة الكرد، الدكتور حسن فتح الله، مطبعة دار آراس (أربيل – ٢٠٠٢م)، ص٢١٢، و كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، ص٣٣، وما بعدها.

٣. الشيخ محمد الخال و جهوده الفكرية والدعوية، نصرالدين توفيق نادر، رسالة الماجستير، بإشراف الدكتور صباح محمد نجيب البرزنجي، كلية الإمام الأعظم، قسم الدعوة والفكر/نينوى، ١٤٣٦هـ ٢٠١٤م.

٤. وجه ماله دين نه فغانى فه يله سوف و نونگارى سعده جمال الدين الأفغاني الفيلسوف والمجدد القرن) ص ٣٣–٣٦.

٥. فصل المقال في تفسير الخال.

٦. علماؤنا في خدمة العلم والدين، ص ٣٢٤ ؛ ومعجم أعلام الكرد . . .، ص ٤٤٢ – ٤٤٣ ؛ وجهود الشيخ عبد الكريم المدرس الفقهية، عبد الله سعيد ويسي الكرتكى، مطبعة ماردين، ط ١) أربيل – ٢٠١٢م)

٧. ناوداراني كورد) شهراء الكرد) ص ٢١٧ ؛ ومعجم أعلام الكرد، ص ٨٧–٨٦؛ وأعلام الكرد، ص ٧٢–٧١.

٨. شيعره كانى شيخ نورى بابا على) أشعار نوري بابا علي (جمع وتحقيق آسو كمال نوري، مطبعة أزمر) السليمانية – ٢٠٠٤م).

٩. أعلام الكرد، ص ٥٧٢–٥٧٣ ؛ و كاروانى ژيانم (رحلة حياتي) د مصطفى إبراهيم الزلمي .

١٠. الشيخ عثمان عبد العزيز ومنهجه في التفسير، أحمد مصطفى فيض الله الشافعي، ص ٢٦، وما بعدها، بحث الماجستير، تقدم بها الباحث إلى كلية الإمام الأعظم، قسم أصول الدين، سنة (١٤٢٧هـ – ٢٠٠٧م).

١١. معجم أعلام الكرد في التاريخ الإسلامي والعصر الحديث في كردستان وخارجها، د محمد علي الصويركي مطبعة مؤسسة حمدي للطبع والنشر، الناشر مؤسسة زين السليمانية ٢٠٠٦م).

١٢. البيتوشي، محمد الخال، مطبعة المعارف) بغداد – ١٣٧٧هـ – ١٩٥٧م.

١٣. قائع حياته وآثاره، جمعه وأشرف على طبعه برهان قانع، مطبعة أوفيست الوسام غداد – ١٩٨٤م

١٤. الأعلام للزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م .

١٥. الموسوعة العربية العالمية، مجموعة من العلماء والباحثين، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية،١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

١٦. موجز دائرة المعارف الإسلامية، تحرير: م.ت.هوتسما، ت.و.أرنولد، ر.باسيت، ر.هارتمان، ترجمة مجموعة من المؤلفين، مركز الشارقة للابداع الفكري، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ–١٩٩٨م. ٣/ ٦٩٢.

١٧. گۆڤاری زانكۆی سلێمانی ژمارە – ٣١ – ئازاری ٢٠١١ز بەشی – ب – بابەت: كاریگەریەكانی قوتابخانەی ڕیفۆرمی ئیسلامی لەسەر تەفسیری خاڵ، پ: د. ئاراس محمد صالح.

١٨. زانایاني ئیصلاح و نوێكردنەوەی بیری ئایینی لە كوردستان، د. ئاراس حمد صالح، تاران – نشری ئیحسان – ط١، ٢٠٢٢م، لا٢٤١ – ٢٧٩.

١٩. مفهوم تجديد الدين بسطامي محمد سعيد خير جدة: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط ١، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢م

٢٠. الفكرالمقاصدي للملا محمد جليزادة وأثره في التجديد – دراسة تحليلية – أطروحة مقدّمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية، كاظم علي توفيق – إشراف: أ.م. د. بختيار نجم الدين شمس الدين – السنة الدراسية – ١٤٤٤هـ ٢٧٢٣ك – ٢٠٢٣م، جامعة السليمانية.

٢١. فصول في أصول التفسير: د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، تقديم د. محمد بن صالح الفوزان، دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ٥٩.

٢٢. : المستدرك على أصول الفقه، زكريا غلام قادر باكستاني الرياض مكتبة الرشد، ط ١، ٢٠١٧م، ١٧.

٢٣. التفسير النبوي: خالد بن عبد العزيز الباتلي، الرياض دار كنوز إشبيليا، ط ١، ١٤٣٢هـ /٢٠١١م، ١/٣٠.

هوامش البحث

(١) ينظر: الشيخ محمد الخال مفسّراً: ص٤ – ٥. و: فصل المقال في تفسير الخال: ص٧–٨. و: الشيخ محمد الخال و جهوده الفكرية والدعوية: ص٧–١٩.

(٢) الشيخ معروف النودهي البرزنجي، الشيخ محمد الخال، مطبعة التمدن، بغداد: ١٩٦٣م، ص٥.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) البيتوشي: ص٢٠.

(٥) ينظر: يقظة الكرد، الدكتور حسن فتح الله، مطبعة دار آراس (أربيل – ٢٠٠٢م)، ص٢١٢، و كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، ص٣٣، وما بعدها.

(٦) ينظر: الشيخ محمد الخال مفسراَ، ص٣١.

(٧) ينظر: الشيخ محمد الخال وجهوده الفكريّة و الدعوية، ص١٠٩.

(٩) ينظر:الشيخ محمد الخال مفسّراً، ص١٤.

(١٠) ينظر:الشيخ محمد الخال مفسّراً، ص١٤.

(١١) المصدر نفسه.

(١٢) الشيخ محمد الخال وجهوده الفكرية والدعوية، ص١٠٩.

(١٣) الشيخ محمد الخال وجهوده الفكرية والدعوية، ص١٠٩.

(١٤)ينظر: وجه ماله دين نه فغانى فه يله سوف و نونگارى سعده جمال الدين الأفغاني الفيلسوف والمجدد القرن) ص ٣٣–٣٦.

(١٥) الشيخ محمد الخال وجهوده الفكرية والدعوية، ص١٠٩.

(١٦) ينظر: الشيخ محمد الخال مفسراً، ص٣٢.

(١٧) ينظر: الشيخ محمد الخال وجهوده الفكريّة والدعوية، ص١١٠.

(١٨) ينظر: المصدر نفسه.

(١٩) ينظر: فصل المقال في تفسير الخال، ص٧–١٠.

(٢٠) ينظر: الشيخ محمد الخال مفسراً، ص٣٢.

(٢١)ينظر: علماؤنا في خدمة العلم والدين، ص ٣٢٤ ؛ ومعجم أعلام الكرد . . .، ص ٤٤٢ – ٤٤٣ ؛ وجهود الشيخ عبد الكريم المدرس الفقهية، عبد الله سعيد ويسي الكرتكى، مطبعة ماردين، ط ١) أربيل – ٢٠١٢م) ص ٣٢ – ٤٤

(٢٢)ينظر: ناوداراني كورد) شهراء الكرد) ص ٢١٧ ؛ ومعجم أعلام الكرد، ص ٨٧–٨٦؛ وأعلام الكرد، ص ٧٢–٧١.

(٢٣)ينظر: شيعره كانى شيخ نورى بابا على) أشعار نوري بابا علي (جمع وتحقيق آسو كمال نوري، مطبعة أزمر) السليمانية – ٢٠٠٤م) ص ٧.

(٢٤)ينظر: أعلام الكرد، ص ٥٧٢–٥٧٣ ؛ و كاروانى ژيانم (رحلة حياتي) د مصطفى إبراهيم الزلمي ج ١، ص ١١، وما بعدها.

(٢٥)ينظر: الشيخ عثمان عبد العزيز ومنهجه في التفسير، أحمد مصطفى فيض الله الشافعي، ص ٢٦، وما بعدها، بحث الماجستير، تقدم بها الباحث إلى كلية الإمام الأعظم، قسم أصول الدين، سنة (١٤٢٧هـ – ٢٠٠٧م).

(٢٦)ينظر: ناوداراني كورد (شهراء الكرد (ص ١٢٠ – ١٢١ ؛ ومعجم أعلام الكرد. . .، ص ١٦٢ – ١٦٤ ؛ وأعلام الكرد، ص ١٣٣ – ١٣٦.

(٢٧)ينظر: معجم أعلام الكرد، ص ٣٣٩؛ وأعلام الكرد، ص ٢٥٥ – ٢٥٦.

(٢٨)ينظر: أعلام الكرد ص ٣٢٣ – ٣٢٥.

(٢٩)ينظر: قائع حياته وآثاره، جمعه وأشرف على طبعه برهان قانع، مطبعة أوفيست الوسام غداد – ١٩٨٤م (ص ٢).

(٣٠)ينظر: معجم أعلام الكرد، ص ٥٣٠ ؛ وأعلام الكرد، ص ٣٩٩ – ٤٠٤.

(٣١)ينظر: من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة .

(٣٢)ينظر: أعلام الكرد، ص ٤٥٠-٤٥١.

(٣٣)ينظر: معجم أعلام الكرد، ص ٤٧٥ ؛ وأعلام الكرد، ص ٣٥٠.

(٣٤)ينظر: أعلام الكرد، ص ٣٩٧ – ٣٩٨.

(٣٥)ينظر: أعلام الكرد، ص ١٣٧.

(٣٦)ينظر: ناوداراني كورد (شهراء الكرد (ص ٥٣ – ٥٤ ؛ ومعجم أعلام الكرد، ص ٤٢٥ – ٤٢٦.

(٣٧)ينظر: الأعلام للزركلي، ج ٦، ص ٣٠٦.

(٣٨)ينظر: الموسوعة العربية العالمية، ج ١، ص١.

(٣٩)ينظر: معجم المؤلفين، ج ١، ص ١٦٨ ؛ والموسوعة العربية العالمية، ص ١.

(٤٠)ينظر: الموسوعة العربية العالمية، ص١.

(٤١)ينظر: الموسوعة العربية العالمية، ص ١.

(٤٢)ينظر: الأعلام، الزركلي، ج ٧، ص ١٤٣.

(٤٣)ينظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، تحرير: م.ت.هوتسما، ت.و.أرنولد، ر.باسيت، ر.هارتمان، ترجمة مجموعة من المؤلفين، مركز الشارقة للابداع الفكري، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م. ٣/ ٦٩٢.

(٤٤) گۆڤاری زانكۆی سلێمانی ژمارە – ٣١ – ئازاری ٢٠١١ز بەشی – ب – بابەت: كاریگەریەكانی قوتابخانەی ڕیفۆرمی ئیسلامی لەسەر تەفسیری خاڵ، پ: د. ئاراس محمد صالح، ص٨-١١.

(٤٥) گۆڤاری زانكۆی سلێمانی ژمارە – ٣١ – ئازاری ٢٠١١ز بەشی – ب – بابەت: كاریگەریەكانی قوتابخانەی ڕیفۆرمی ئیسلامی لەسەر تەفسیری خاڵ، پ: د. ئاراس محمد صالح، ص٨-١١.

(٤٦) المصدر نفسه.

(٤٧) المصدر نفسه.

(٤٨) زانایانی ئیصلاح و نوێكردنەوەی بیری ئایینی لە كوردستان، د. ئاراس حمد صالح، تاران – نشری ئیحسان – ط١، ٢٠٢٢م، لا٢٤١ – ٢٧٩.

(٤٩) گۆڤاری زانكۆی سلێمانی ژمارە – ٣١ – ئازاری ٢٠١١ز بەشی – ب – بابەت: كاریگەریەكانی قوتابخانەی ڕیفۆرمی ئیسلامی لەسەر تەفسیری خاڵ، پ: د. ئاراس محمد صالح، ص٨-١١.

(٥٠) المصدر نفسه.

(٥١) گۆڤاری زانكۆی سلێمانی ژمارە – ٣١ – ئازاری ٢٠١١ز بەشی – ب – بابەت: كاریگەریەكانی قوتابخانەی ڕیفۆرمی ئیسلامی لەسەر تەفسیری خاڵ، پ: د. ئاراس محمد صالح، ص٨-١١.

(٥٢) المصدرنفسه.

(٥٣) المصدر نفسه .

(٥٤) ينظر: الفكر المقاصدي للملا محمد الجليزادة، ص٧٠ – ٧٨.

(٥٥) ينظر: مفهوم تجديد الدين بسطامي محمد سعيد خير جدة: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط ١، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢م، ص٢٩.

(٥٦) ينظر: فصول في أصول التفسير: د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، تقديم د. محمد بن صالح الفوزان، دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ٥٩.

(٥٧) ينظر: مفهوم تجديد الدين: بسطامي محمد سعيد ،ص٣٥.

(٥٨) ينظر: المستدرك على أصول الفقه، زكريا غلام قادر باكستاني الرياض مكتبة الرشد، ط ١، ٢٠١٧م، ١٧.

(٥٩) ينظر: التفسير النبوي: خالد بن عبد العزيز الباتلي، الرياض دار كنوز إشبيليا، ط ١، ١٤٣٢هـ /٢٠١١م، ١/٣٠.

(٦٠) ينظر: مفهوم تجديد الدين: بسطامي محمد سعيد ،ص٣٤ – ٣٥.